



قصص
بوليسية
للأولاد

لغز قصر الحمراء

مفاجأة فى مطار برشلونة


العقيد «ممدوح»

أقلعت الطائرة الخاصة، صباح الخميس، من مطار «أثينا» الدولى، كان رجل الأعمال اليونانى «سَفَاليسْ» قد أستأجرها لتقله وولده «ترِيفُو» وضيوفه إلى «بَرْشِلُونة» فى إسبانيا.

كان «سفاليس» سعيداً لقبول المغامرين الثلاثة وخالهم العقيد «ممدوح» ضيافته، بعد أن توصلوا إلى حل لغز لوحة «بيكاسو» التى يملكها، وجعلته يدرك أن اللوحة المعلقة فى غرفة مكتبه مزيفة، وأن اللوحة الأصلية قد سرقت من قصره.

وكان سارق اللوحة جالساً معهم فى الطائرة بجانب الضابط اليونانى «سبيرو» ، بعد أن كشف المغامرون الثلاثة سرّه الشديد الغموض .

كان سارق اللوحة أسبانيًّا يُدعى «بِدْرُو» ، وقد اعترف – كما عرفنا فى «لغز لوحة بيكاسو» – بسرقة اللوحة وقيامه بتهريبها إلى «برشلونة» مع صديقه «خُوسِيه» الذى أبحر بها من ميناء «بيريه» .

وكان «بدرو» قد أبدى رغبته فى إعادة اللوحة بعد أن أنقذه ابن صاحبها «ترِيفو» و«عارف» و«عامر» من موت محقق ، عندما استهانوا بالخطر – فى شجاعة نادرة – لإنقاذه من الغرق ، ومن النيران المشتعلة التى أحاطت به من كل جانب بعد انفجار خزان الوقود فى زورقه البخارى ، الذى انقلب به عقب محاولته الفاشلة للقضاء عليهم فى عرض البحر .

وكانوا قد عرفوا من «بدرو» أنه اتفق مع

«خوسيه» على اللقاء فى الساعة العاشرة من صباح الجمعة فى «كافيتيريا البرازيل» ، بطريق «الرَامْبلاَس» فى «برشِلُونة» . وكان «بدرو» قد حجز مقعداً على الطائرة المسافرة إليها صباح الخميس ، قبل أن ينكشف أمره .

وبادر «سفاليس» – صاحب اللوحة – إلى تأجير طائرة خاصة . . تقلهم إلى «برشلونة» فى اليوم الذى حدده «بدرو» لسفره من قبل «الخميس» .

وكان «سَفَالِيس» يُعِد للحفل الذى ينوى إقامته مساء اليوم التالى – الجمعة – فى «برشلونة» بعد أن يتسلم اللوحة الأصلية من «بدرو» بعد لقائه بـ«خوسيه» .

وكان «بدرو» يبتسم راضياً وهو يتحدث مع المغامرين الثلاثة وصاحبهم «تريفُو» – بعد أن استراح ضميره – برغم علمه بأن الضابط اليونانى «سبيرو»

الجالس بجانبه سوف يعود به إلى اليونان لمحاكمته . .
بعد أن يسلمهم اللوحة المسروقة ، ويعاون شرطة « برشلونة » فى القبض على « البارون » المجرم الخطير الذى أعدّ لسرقة لوحة « بيكاسو » ، وأرسله إلى اليونان لسرقتها بعد أن أغراه بمكافأة ثمينة .

وجد المغامرون الثلاثة فى مطار « برشلونة » عمَّهم الدكتور « أشرف » فى انتظارهم ، ومعه ابنته « أروى » وولده « إبراهيم » ، وكان اللقاء مفاجأة سارة أعدها خالهم العقيد « ممدوح » حين أبرق لعمهم الدكتور « أشرف » – دون علمٍ منهم – بموعد وصولهم .

وكانت « أروى » تصيح قائلة : تَانْتو جُوسْتو ! . . تَانْتو جُوسْتو !

ونظر المغامرون الثلاثة إلى بنت عمهم فى دهشة ما لبثت أن تحولت إلى ضحكات عالية عندما أوضح إبراهيم بقوله : « أروى » تقول بالأسبانية التى تجيدها :

أسعدنى لقاؤكم ! . . أسعدنى لقاؤكم !

ورحّب العقيد « ممدوح » بذهاب المغامرين الثلاثة مع عمهم بعد أن اعتذر عن مرافقتهم لارتباطه بصديقه العميد « سبيرو » وزملائهما من شرطة البحث الجنائى فى « برشلونة » الذين كانوا فى استقبالهم بالمطار . .
وعرف منهم أن « خوسيه » تحت المراقبة منذ وصوله ، بناءً على البرقية التى أرسلها العميد « سبيرو » إلى « انْتَربُول بَرشلونة » .

وودع المغامرون الثلاثة رفاق الرحلة بعد أن اتفقوا على اللقاء فى الصباح التالى – الجمعة – فى « كافيتيريا البرازيل » .

وصاح « **عارف** » قبل أن تنطلق بهم سيارة عمهم : اليوم عطلة نستكشف فيه « برشلونة » العاصمة الثانية لأسبانيا بعد « مدريد » .

وأحاطت « **عالية** » « أروى » و « إبراهيم » بذراعيها

وهى تقول فى فرح : ونسعد بلقاء الأحباب .

انطلقت السيارة عبر طرقات «برشلونة» عاصمة إقليم «قَطَالُونيا» والميناء الكبير المطل على البحر المتوسط .

ولاحظ المغامرون الثلاثة أن شوارع المدينة طويلة للغاية . . ويزيد اتساع كل منها عما رأوه فى أى بلد آخر ، وصاح «إبراهيم» محدثًا «عامر» : ليتك قَدِمْتَ فى الشهر الماضى قبل ذوبان الجليد .

وسأله «**عامر**» فى دهشة : ولمَ يا «عامر» ؟

وأوضحت «**أروى**» قائلة : «إبراهيم» يهوى الانزلاق على الجليد الذى يكسو جبال «البرانس» القريبة فى فصل الشتاء .

وقاطعها «**إبراهيم**» فى ضيق : وقد انتهى موسم هذه الرياضة فى الشهر الماضى .

وضحكت «**عالية**» وهى تقول : «عامر» يحب

الانزلاق على الماء .

فصاح «**إبراهيم**» : أنا أيضًا أزاول هذه الرياضة الممتعة فى «كُوستَا بِرَافَا» ، وهو المصيف الرائع الممتد طويلاً على شاطئ البحر ، ومعنى اسمه «شاطئ الشجاعة» .

وقاطعه «**عارف**» قائلاً : «عامر» يحب هذه الرياضة إذا كانت النيران تغطى سطح الماء ! !

والتفت الدكتور «أشرف» ناحية «عامر» فى دهشة ، وهتفت «أروى» متسائلة : ماذا تقصد يا «عارف» ؟

وقص عليهم «غارف» قصة المغامرة البحرية التى خاضها مع «عامر» و«تريفو» — فى «جِلِيفَادَا» — عندما حاول «بِدرو» القضاء عليهم فى عرض البحر .

وضحكت «**عالية**» وهى تقاطعه قائلة : عندما كان «عامر» يزاول رياضة الانزلاق على الماء .

وأصغى الجميع فى صمت إلى «عالية» وهى تحكى أحداث المغامرة المثيرة التى جاءت بهم إلى «برشلونة» لاستعادة لوحة «بيكاسو» المسروقة .

وصاحت «أروى» : نحن الآن على مقربة من متحف «بيكاسو» .

وأضاف «إبراهيم» : هذا صحيح ، نحن الآن فى حى «لارِيبيرَا» والمتحف فى شارع «مُنْكَادَا» القريب ، وهو قصر قديم فاخر !

وقاطعه الدكتور «أشرف» قائلاً : «بيكاسو» عاش ودرس الفن فى «برشلونة» قبل أن يغادرها إلى «باريس» ويستقر بها حتى وفاته منذ وقت قريب .

وكانت السيارة قد وصلت بهم إلى المنزل عند سفح جبل «تِيبِيدَابُو» المرتفع الذى تغطيه الأشجار ، وشاهد الدكتور «أشرف» نظرات الإعجاب البادية فى أعين المغامرين الثلاثة وهم يتأملون الجبل الشاهق فقال فى

أسى : المبانى بدأت تغطى سطح الجبل مكان أشجاره الوارفة الخضراء .

وقال «إبراهيم» : سوف نصعد معاً إلى قمة الجبل فنقضى وقتاً ممتعاً فى حديقة الملاهى .

وأطلت زوجة عمهم من شرفة المنزل – التى تزينها كغيرها من شرفات المنازل المجاورة – أصص الأزهار وصاحت قائلة : هيّا ، حتّى لا يبرد الطعام .

وضحك عمهم وهو يقول : لقد دعونا عدداً من زملائنا المصريين للغداء معكم .

وكان اللقاء شائقاً مع أبناء وبنات مصر الحبيبة من أعضاء البعثات للدراسة فى «برشلونة» . . وبعد قليل ازدانت المائدة بأكلة مصرية شهية : ملوخية ، ومحشى ورق عنب ، وفتة لحم بالخل والثوم . . وأقبل المغامرون الثلاثة على الطعام بلهفة بعد غيبتهم الطويلة عن بلدهم الحبيب .

جبل « مُنْجُوِى »

رحب المغامرون الثلاثة بدعوة عمهم إلى القيام عصرًا بجولة فى المدينة ، وأثار انتباههم اتساع المدينة وكثْرة مصانع المعادن والنسيج والصناعات الكيميائية .

عارف

وكانت السيارة تسير بهم فى المدينة القديمة التى تمتد من « بِورتَادِه لأبَازْ » أى « باب السلام » إلى « بِلاَثَادِه كَاتَالُونيا » . . أى « ميدان قطالُونيا » .

وشاهدوا وسط أحد الميادين الواسعة زحامًا شديدًا ، كما سمعوا موسيقى هادئة تصاحبها دقات طبول رتيبة . . وقالت « أروى » : هذا ميدان الكنيسة

الكبيرة ، ويسمونها « الكَاتِدْرَالْ » .

وأكمل « إبراهيم » : أما الموسيقى فتصاحب رقصة « سَرْدَانَا » التى يؤديها الأهالى عصر كل يوم أمام الكنيسة .

وأضاف عمهم قائلاً : « سَرْدَانَا » رقصة وطنية يرقصها الأهالى هنا صغارًا وكبارًا لساعات طويلة .

وشاهد المغامرون الثلاثة عددًا كبيرًا من الرجال والنساء والأولاد والبنات ، وقد تشابكت أيديهم وهم يرقصون فى حلقة وسط جمع من المتفرجين .

واسترعى انتباههم عندما اقتربوا من الميناء عمودٌ شاهق الارتفاع ، يتوسط ميدانًا فسيحًا ، ويقوم عليه تمثال رجل طويل القامة .

وقالت « أروى » : هذا ميدان « كُولون » وتمثاله .

وضحك « إبراهيم » وهو يقول : « كولون » هو « كُولُمبس » . .

وقد استقبلته الملكة «إيزابيلا» والملك «فرناندو» فى هذا المكان عندما رجع من الدنيا الجديدة .

وهتفت «أروى» فى فرح عندما رأت والدها يتجه بهم إلى «بَرْثُلُونِيتَا» قرب ميناء الصيادين : نحن ذاهبون إلى «مُنْجُوِى» .

وقال «**إبراهيم**» : زيارة جبل «مُنْجُوِى» — أو جبل «شُوِيخ» كما سمّاه العرب — متعة تفوق الوصف .

وصاح «**عامر**» : والمصعد الكهربائى المعلّق ويسمى «تليفريك» يصعد بهم إلى قمة الجبل : ما أجمل هذا المنظر ! السفن المتراصة فى الميناء ، والطُّرق المتفرعة من ميدان «كولون» المواجه للميناء .

وهتفت «**أروى**» : هذا هو «لاَس رَامبِلاس» .

وقالت «**عالية**» : سوف نلْقَى خالنا ورفاقنا فى هذا الشارع .

وقال «**إبراهيم**» : «الرامبلاس» يقع مكان أسوار المدينة القديمه .

وهبطوا من السيارة بعد حوالى خمس عشرة دقيقة عند «ميرامار» ، وهى ساحة مسوّرة تشرف على البحر ، وبها نظارات مقربة ثابتة فى الأرض ، تكشف لمسافات بعيدة ما يحيط بالموقع من مشاهد طبيعية خلاّبة .

واتجهوا إلى «بُوبِلُو إِسْبَانُول» — أى القرية الأسبانية — وهى عالم فسيح يثير الدهشة والإعجاب .

كان بالقرية حىٌّ خاص بكل إقليم فى أسبانيا ، تميزه مبانيه التى تختلف عن غيرها من أحياء القرية الواسعة ، وشاهدوا فى كل حىٍّ الفنون والصناعات المميزة لكل إقليم ، وكان الحرفيون يزاولون أعمالهم الفنية أمام زوّار القرية ، ويعرضون إنتاجهم فى معارض صغيرة حافلة .

شاهدوا صانع الزجاج اليدوى وهو ينفخ فى أنبوب علِّقَتْ به كتلةٌ من الزجاج المصهور فى طرفه ، بعد أن أخرجها من الفرن المتّقِد ، ورأوه يشكِّلها فى مهارة كوبًا ، أو صحنًا ، أو إبريقًا ، وغير ذلك من أشكال تختلف ألوانها حسب ما يضيفه إلى عجينة الزجاج من أصباغ .

وصاح «**عارف**» : لدينا هذه الصناعة اليدوية قُرب «باب الفتوح» بالقاهرة .

وقال **عمه** : هذا صحيح ، وكثيرًا ما اصطحبت معارفى من الأجانب لزيارة هذه المنطقة الحافلة بآثارنا الإسلامية ، وصناعاتنا اليدوية المتوارثة .

وتوقفوا فى حىٍّ آخر أمام المصنوعات الجلدية ، وأسرعت «أروى» وقد لمحت إعجاب «عالية» بحقيبة جلدية تحليها زخارف ملونة إلى شرائها وتقديمها هدية إليها ، كما قدم «إبراهيم» بدوره حزامًا من الجلد

السميك لكل من «عارف» و«عامر» .

ومرُّوا على صُنَّاع الخزف ، فشاهدوا نماذج رائعة من إنتاجهم ، وقال الدكتور «أشرف» حين شاهد إعجابهم : كانت «بلنسية» التى لا تبعد كثيرًا عن «برشلونة» .. مركز صناعة الخزف أيام الأندلس الزاهرة ..

واشترت «عالية» قطعًا من النسيج اليدوى الرقيق ، أعجبها حلاوة زخارفها ودقة نسيجها ، فى حين آثر «عامر» شراء «خنجر» عربىّ صغير قال البائع إنه من صناعة «تُوليدُو» .. وقال الدكتور «أشرف» : «تُوليدُو» هى «طُلَيْطِلَة» فى عصر الأندلس ، وكانت ذات شهرة فى صناعة السيوف والخناجر ، توارثها صنّاع «توليدو» من أجدادنا العرب المسلمين .

وسأل «**عامر**» : وهل وصل الفتح الإسلامى إلى «برشلونة» ؟

وأجابه عمه قائلاً : أجل ، فتحتها جيوش الإسلام بقيادة «موسى بن نصير» و«طارق بن زياد» . وقد غطت الفتوحات الإسلامية شبه جزيرة «أيبريا» أى أسبانيا والبرتغال — حتى جبال «البرانس» .

وهتف «إبراهيم» : وعبرت جبال البرانس ودخلت فرنسا ، واستولت على عدد من مدنها !

وغادروا القرية الأسبانية إلى «فيلاً» جميلة . . تناثرت الموائد الأنيقة فى حديقتها الواسعة تحت أشجار البرتقال المحملة بالثمار ، تحيط بها شجيرات الورد والأزهار ، وتتوسطها نوافير تتدافع مياهها عالية ثم تتساقط فى أحواض مختلفة الأشكال والألوان .

وصاحت «أروى» : «لافُنْت دِلْ جَاتْ» !

وقال «إبراهيم» موضحاً : معناها «نافورة القطة» وهو اسم هذا المطعم . وإن كنت أحب مطعم «إل أسْت» ، أى «المشوِيَات» .

والتفت إليه والده وهو يقول : «إل أَسْت» متخصص فى الدجاج المشوى ، ولكنى أريد لأحبابنا تذوق الأطعمة الأسبانية التى اشتهر هذا المطعم بإعدادها .

وهتف «إبراهيم» عندما قُدِّمَ لهم طبق كبير زكى الرائحة : «البَاإيِيَا» . . ! !

وتأمل المغامرون الثلاثة الطبق الكبير . . الذى تحلى طرفه أصداف محار لامعة ، تحيط بكمية وافرة من الأرز تناثرت بين حباته البيضاء اللامعة حبّاتُ البازلاء ، وقطعٌ من الفاصوليا الخضراء ، وشرائح الفلفل الأخضر ، ومكعبات من الجزر الأصفر ، وقطع من لحم الضأن والدجاج ، والأسماك والمحار .

ورأى الدكتور «أشرف» ضيوفه يُقبلون على «البَاإيِيَا» بشهية فقال : يُقال إن هذه الأكلة المشهورة عربية الأصل ، كما سمعت قصة طريفة عن أصلها .

وصاح «عامر» وهو يضرب بملعقته فى الطبق الكبير : وما هى قصتها ؟

وأجابه عمه قائلاً : قالوا إن بعض أثرياء العرب فى الأندلس كانوا يعيشون حياة ترف وبذخ ، وكانت موائدهم العامرة تُنْصَبُ فى حدائق دورِهم فلا يصيبون مما حوَت سوى القليل ، ويسارع خدمهم إلى الموائد يخلطون ما حوَت صِحافها من خُضَرٍ ولحوم فى أطباق الأرز الكبيرة – قبل أن يفتحوا الأبواب للفقراء – يفعلون ذلك تجنُّبًا لثورتهم إذا شاهدوا ما كانت تحفل به الموائد من إسراف وتبذير .

وضحك «عارف» وهو يقول : ويأكل الفقراء بقية الطعام – أى البقية ! !

وقال «إبراهيم» : وينطقونها «البابايا» فحرف القاف غير موجود فى الأسبانية .

وقاطعته «عالية» قائلة : أمى تُعدّ لنا مثل هذه

الوجبة عندما تجد فى ثلاّجة المنزل بقية من لحم أو دجاج ، تضيفها بعد تقطيعها نتفاً صغيرة إلى الأرز ، وما يتيسر لها من خضر .

وبعد أن فرغوا من طعامهم ذهبوا إلى مدينة الملاهى التى تزدان بأنوارها الملونة الساطعة . . ومضى بهم الوقت ممتعًا بين ألعابها الطريفة ، فقد دارت بهم الساقية الكبيرة ، واستقلوا «القطار المجنون» الذى يعلو ويعلو ببطء ليعود فينحدر من علوِّه الشاهق فى سرعة رهيبة تثير خوف ركابه وصراخهم . وتباروا فى قيادة السيارات الكهربائية . وظهرت براعة «إبراهيم» و«عامر» و«عارف» فى إصابة الأهداف بالبندقية .

وعادوا إلى المنزل وقد حمل كلٌّ منهم ما حصل عليه من جوائز . . كان من بينها دُبٌّ كبير من الفراء الأبيض الناعم .

«كافيتيريا البرازيل»

أثار طريق «لاَس رَمْبِلاَس» الممتد بين ميدان «قطالونيا» وميدان «كولون» دهشه المغامرين الثلاثة بشكله المختلف عن غيره من طرق المدينة .

عامر

كان مكونًا من شارعين للمرور ، وفى وسطهما جزيرة واسعة ، على جانبيها صفان من أشجار وارفة ظليلة ، تحتها دكك خشبية أنيقة بيضاء اللون ، تمتد بجانب أكشاك الصحف والمجلات ومنصّات باعة الأزهار وأقفاص عصافير «الكَنَاريا» .

ويزدحم «الرامبلاس» بروّاده فى المساء ، بعد نوم

الظهيرة أو القيلولة ، ويسمونه «سِيِسْتَا» .

وتقوم على جانبى الطريق المحالٌ الأنيقة ، تعرض ما يجذب المارة إلى واجهاتها الزجاجية التى تدفع معروضاتها المشاهِد إلى الشراء ، وأثار إعجابَ «عالية» شالٌ أبيض من «الدَانتيل» يسمونه «مانتيليا» ، وأرادت شراءه لوالدتها ، ولكن ثمنه كان أكثر مما معهم من «بيزيتات» . . وهى العملة الأسبانية التى يساوى الواحد منها حوالى ثمانية مليمات ، واكتفت «عالية» بشراء مشط أسبانى يسمونه «بَايِنتَا» ، له رأس طويل تحليه فصوص لامعة ، وتستخدمه الأسبانيات للزينة . .

وأقبل المغامرون الثلاثة مع «أروى» و«إبراهيم» على «كافيتيريا البرازيل» الصغيرة ، وأسرع العقيد «ممدوح» إلى لقائهم يتبعه صديقهم «تريفو» ، الذى جلس والده «سفاليس» مع «سبيرو» على إحدى موائد

«الكافيتيريا» قرب «بدرو» ، الذى كان يجلس وحده يحتسى قدحاً صغيراً من القهوة السوداء «اسبِرسُّو» .

واصطحبهم «ممدوح» إلى إحدى الدكك الخشبية البيضاء تحت الأشجار الوارفة وهو يقول : نجلس هنا ، «فالكافيتيريا» ضيقة ومزدحمة .

وقال «تريفو» : هذا صحيح ، «الكافيتيريا» بها عدد من رجال شرطة البحث الجنائى ، منهم الواقف أمام آلة صنع القهوة .

وضحك العقيد «**ممدوح**» وهو يقول : ورئيسهم العميد «مانويل» هو الجالس عند كشك الصحف والمجلات .

وصاحت «**عالية**» وهى تتطلع إلى ساعتها : «خوسيه» تأخر كثيراً عن موعده !!

وقال «**تريفو**» : وأبي ينقر بأصابعه على المنضدة ، وتلك عادته حين يكون متضايقاً .

وقال العميد «**سبيرو**» الذى أقبل عليهم : «خوسبه» لم يحضر ، ولابد لـ«بدرو» من إجراء المكالمة التليفونية مع العصابة .

وهتف «**عارف**» : العصابة لا صلة لها بمشكلة تأخُّر «خوسيه» عن موعده .

وصاح «**عامر**» فى دهشة : وكيف يقابلهم «بدرو» إذا لم يُحضِر «خوسيه» اللوحة ؟

وضحكت «**عالية**» وهى تقول : من السهل تدبير لُفافة مطويّة .. يحملها «بدرو» عند ذهابه لمقابلة «البارون» .

وابتسم العميد «**سبيرو**» وهو يقول : أحسنت يا «عالية» ، يكفى منظر اللفافة لإقناع «البارون» .

وضحك «**عامر**» طويلاً ثم قال : ولن يكون لدى «البارون» متسع من الوقت لمشاهدة اللوحة قبل أن يُطْبِق عليه رجال الشرطة .



وشاهد المغامرون الثلاثة «بدرو» وهو يتحدث فى التليفون . .

واتجه العميد «سبيرو» ناحية كشك الصحف، وتحدث مع العميد «مانويل» وهو يتظاهر بتصفح بعض المجلات المعروضة - خشية أن يكون هناك مَن يراقب المكان من رجال العصابة - ثم عاد إلى «الكافيتيريا» بعد شراء صحيفة .

وشاهد المغامرون الثلاثة «بدرو» وهو يتحدث فى التليفون ، ثم غادر «الكافيتيريا» بعد أن يئس من حضور صاحبه «خوسيه» ، وسار خلفه «سبيرو» و «سفاليس» ، وانضم إليهم المغامرون الثلاثة والعقيد «ممدوح» ورفاقهم .

وسأل «عامر» : من الذى تحدَّث إليه «بدرو» ؟ وماذا قال له ؟

وأجابه «سبيرو» : تحدث مع «الفُونْسُو» . . وهو من أعوان «البارون» . . وقال إنه يعرف «بدرو» وسوف ينتظره فى الميدان ، عند بوابة

«لاس أرِينَاسْ» ، فى الساعة الرابعة .

وصاحت «**أروى**» : «لاس أريناس» أى الرمال وهى ساحة مصارعة الثيران ، ومكانها فى «بلاثا أسبانيا» . .

وأضاف «**إبراهيم**» قائلاً : توجد ساحة أخرى لمصارعة الثيران فى «جران بِيا» — أى الطريق الكبير — واسمها «لاَسْ جلُوريَاسْ» أى «المجيدة» .

وأضاف العميد «**سبيرو**» قائلاً : «الفونسو» سيقف حاملاً بيده باقة من أزهار القرنفل الحمراء .

والتفتت «**عالية**» ناحية «بدرو» الذى يسير بخطوات متثاقلة على الرصيف المقابل لهم وهى تسأل : وإلى أين يذهب «بدرو» الآن ؟

«**سبيرو**» : إلى محله القريب من ميدان «قطالونيا» . .

عامر : وما هى تجارته ؟

سبيرو : «بدرو» يتاجر فى الأسلحة البيضاء ، مثل السيوف والخناجر والحِراب .

عالية : وهل يعمل «خوسيه» فى متجره ؟

سبيرو : «خوسيه» حدّاد ، يصنع السيوف والخناجر فى «ورشة حدادة» بمدينة «طَركُونة» التى يقيم بها .

عارف مقاطعاً : و«بدرو» يشترى إنتاجه ويعرضه للبيع فى متجره .

قال «**سبيرو**» ضاحكاً : هذا صحيح ، وقد قال لنا إنه يعرضها على أنها من صناعة «توليدو» المشهورة !

وشاركه الجميع الضحك ، وقال «عامر» : سيوف مزيفة ، وخناجر مزيفة ، ولوحات مزيفة . . ! !

وقف المغامرون الثلاثة ورفاقهم فى الطرف البعيد من ميدان أسبانيا ، وشاهدوا «بدرو» وهو يحمل لفافة

من الورق ويتجه إلى «الفونسو» الطويل ذى اللحية الصغيرة المدببة ، والقميص الأبيض ، والبنطلون الأزرق بلون «البيريه» الذى يغطى رأسه ، وتنسدل على جانبيه خصلات من شعره الأسود الذى يتدلى حتى كتفيه ، وقد كشفت ابتسامته العريضة عن عدة أسنان ذهبية لامعة .

وتقدم «الفونسو» ناحية «بدرو» وهو يتطلع إلى اللفافة التى يحملها ، ثم ناوله مظروفًا صغيرًا ، ورشق زهرة قرنفل حمراء من الباقة التى يحملها فى لحية «بدرو» الكثيفة قبل أن يهرول مبتعدًا ، وهو يضحك عاليًا ، ويتبعه أحد رجال الشرطة ، ولكنه يفلت منه عندما يقفز داخل سيارة اقتربت من مكانه ، ثم انطلقت مسرعة تاركة رجل الشرطة فى حيرة ، وإن كان قد أخرج مفكرته ودوّن أرقام لوحتها المعدنية .

ويقترب المغامرون الثلاثة من «بدرو» ويشاهدونه

وهو يخرج من المظروف تذكرة لدخول حفل مصارعة الثيران ، ويلحق بهم العقيد «ممدوح» وصديقه العميد «سبيرو» ، ويعرفون أن شرطة «طرّكونه» قد أبلغت العميد «مانويل» خبر اختفاء «خوسيه» من المدينة .

ويقبل عليهم أحد مساعدى العميد «مانويل» فيقودهم وسط زحام الجماهير الغفيرة إلى داخل المبنى وهو يقول بإنجليزية سليمة : سوف تجلسون خلف «بدرو» ، الذى حددت التذكرة مكان جلوسه .

ويبتسم وهو يضيف قائلاً : وتذكرته فى منطقة الظِّل ، حيث التذاكر ثمنها أكثر من الواقعة تحت أشعة الشمس المحرقة .

ويسأله «عامر» : وما هى الخطة التى تنوون تنفيذها ؟

ويجيبه الرجل بقوله : «الفونسو» أخبر «بدرو» أن زميله «جوميث» الذى يعرفه يحمل تذكرة المقعد المجاور



وشاهد الأصدقاء (الماتدور) وهو يجهز على الثور الجريح .

له ، وسوف يقوده إلى «البارون» عقب المباراة .

وصاحت «أروى» وهى تطالع برنامج الحفل : سوف نشهد «الماتادور» العظيم «الكُورْدُوبِث» ! !

والتفت إليها المغامرون الثلاثة فى دهشة . . فأوضح «إبراهيم» قائلاً : «الماتادور» هو مصارع الثيران ، و «الكُوردُوبِثْ» تعنى «القُرطُبى» نسبة إلى مدينة «قرطبة» الأندلسية ، ويسمونها الآن «كُوردُوبَا» .

وأشار مساعد «مانويل» إلى حجرة صغيرة فى أحد ممرات المبنى وهو يقول : هذه غرفة «الكُوردُوبِثْ» .

وتعلق «عامر» بذراعه وقال فى رجاء : أريد أن أشاهد المصارع العظيم .

وفكر الرجل لحظة ثم قال : أنا أيضًا تسعدنى مقابلته ، فهو بطل كبير محبوب .

وقال «إبراهيم» وهم يتجهون إلى الغرفة الصغيرة : مصارعة الثيران رياضة قديمة فى أسبانيا . . وتعد من

أهم معالمها .

والأطفال هنا يحبون مصارعة الثيران ويلعبونها فى كل مكان . . أحدهم يؤدى دور الثور ، فيمسك بيديه قرنى ثور مثبتين فى طرف قطعة خشب ويهاجم زميله الممسك بقطعة من قماش أحمر وعصا رفيعة تقوم مقام سيف (الماتدور) . . ويدور الاثنان ويتحاوران داخل حلقة صغيرة من الأطفال الذين يهللون ويصيحون .

وعند باب الغرفة أبصروا المصارع الكبير يداعب ولده الصغير الذى حملته أمه وسط عدد من معارفه وأصحابه . وأقبل عليهم «الكُوردُوبِث» مرحبًا ، فأسرعت «عالية» إلى سؤاله : ألا ينتابك الخوف فى ساحة المصارعة ؟

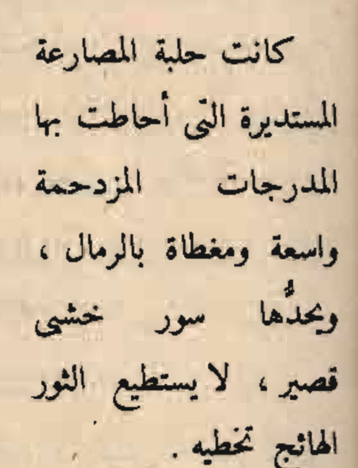
وضحك الحاضرون – ما عدا المصارع الكبير – الذى أجابها بقوله : الخوف أمر طبيعى ، والشجاعة ليست فى التّهور وعدم تدبر العواقب ، خاصة إذا كنتِ

تواجهين وحشًا ضخمًا يضربون المثل بقوته .

وسكت المصارع الكبير لحظة أدار فيها البصر فى الجمع المحيط به ، وقد أسكتتهم كلماته الصريحة ، ثم أكمل حديثه وهو يقول ضاحكًا : ولكن من السهل التغلُّب على الثور القوى بالمرونة والذكاء وقوة الملاحظة ، ويشرط الأ يدع المصارع للخوف فرصة السيطرة على تفكيره ومشاعره .



محاولة اختطاف



كانت حلبة المصارعة المستديرة التى أحاطت بها المدرجات المزدحمة واسعة ومغطاة بالرمال ، ويحدُّها سور خشبى قصير ، لا يستطيع الثور الهائج تخطيه .



بدرو

والتفت المغامرون الثلاثة ورفاقهم الجالسون خلف «بدرو» إلى الرجل الذى أقبل يشق لنفسه طريقًا بين الجالسين إلى أن وصل إلى المقعد الخالى بجانب «بدرو» ، فجلس وهو يتلفت من حوله ، وتطلع إليه «بدرو» وهو يقول : مرحبًا «جوميث» .

وأجابه الرجل القصير القامة .. النحيف الجسم

بهزة من رأسه . . وهو يلهث محاولاً استرداد أنفاسه .

وبدأ العرض بدخول الموكب إلى الحلبة على أنغام الفرقة الموسيقية ، ويتقدمه اثنان من رجال الشرطة على ظهر جواديهما ، وقد ارتدى كلٌّ منهما زيًّا تقليديًّا خاصًّا ، وأقبل المصارعون بملابسهم الموشاة بخيوط ذهبية وفضية لامعة . . يتقدمهم «الكُوردُوبِتْ» نجم الحفل ، ويتبعهم المساعدون من حملة السهام ، ويسمون الواحد منهم «بَاندرِيليرُوا» .

واتجه الموكب إلى مقصورة رئيس الحفل الذى وقف محييًا ، وألقى لهم بمفتاح تلقَّفه أحدهم فى قبعته .

وقال «إبراهيم» موضحًا : هذا مفتاح رمزى لحظيرة الثيران .

وغادر الشرطيان الحلبة ، وتبعهما أفراد الموكب ما عدا الماتادور «الكوردوبث» ومساعديه ، وساد الصمت المكان برغم الحشد الغفير ، وفُتح أحد أبواب

الحلبة ، وظهر ثور أسود ضخم أخذ يتلفَّت من حوله فى تحفز ، وبدأ حملة السهام فى مناوشته ، أخذ كل منهم يحرك عباءته الحمراء أمام الثور حتّى يجذب انتباهه إليه فيتمكن «الماتادور» من معرفة طريقته فى الهجوم ، ويغضب الثور ويهاجم «الباندرِيلِيرُو» الذى يسارع بالهرب خلف ألواح السور الخشبى الذى يحيط بالحلبة ، فى حين تتعالى ضحكات النظّارة .

ويتجه «الكُوردُوبِث» فى خُطًى واثقة متمهلة إلى وسط الحلبة . . ويفرد عباءته ذات اللون الأحمر القرمزى بين ذراعيه . . وهو ينادى بخشونة وفى تحدٍّ : تُورُو . . ! . . تُورُوا . . !

ويهتف «**عامر**» : طبعًا «تورو» تعنى «ثور» !؟

ويجيبه «**إبراهيم**» دون أن تفارق نظراته ما يدور فى الحلبة : هذا صحيح .

ويندفع الثور مهاجمًا ، ويتنحى المصارع جانبًا فى

حركة رشيقة ، ويتعالى هتاف المشاهدين : « أُوليه » . . أولِيه . . ! تقديرًا لشجاعته كلما أفلت ببراعته من هجمات الثور القوى ، وتقول « أروى » : هم يهتفون « أوليه . . ! » مثل قولنا : « الله . . ! » تعبيرًا عن إعجابنا . .

ويعلو صوت نفير ، ثم يظهر « البيكادور » ، وهو فارس يركب جوادًا ويحمل رمحاً طويلاً . ويندفع الثور مهاجماً ، ويغمد « البيكادور » رمحه فى عنق الثور بخفة ، وتغطى الدماء رقبة الثور فتزيد من ثورته وهياجه ، ويعاود الهجوم بوحشية ضاربًا بقرنيه الدِّرع التى تغطى جانبى الجواد ويهمس « إبراهيم » قائلاً : فى بعض الأحيان يتمكن الثور من طرح الجواد وراكبه أرضًا ، وكثيرًا ما يسقط الجواد ضحية الثور الهائج .

ويعلو صوت النفير مرة ثانية ، ويقترب من الثور ثلاثة من « البَاندرِيليرُو » يحملون سهامهم الصغيرة ،

ويحاول كل منهم إغماد سهمين فى رقبة الثور بحركة واحدة ، وبخفة وبعد مراوغة ، ويتكرر رشق السهام فى رقبة الثور الغاضب وسط الهتاف المدوى : « أوليه ؟ .. أوليه .. ! » .

ويضحك « إبراهيم » وهو يقول : كثيرًا ما يعلو الهتاف للثور إذا خاف المصارع وجبُن عن مواجهته .

وتصيح « عالية » : ولكن ما الداعى لطعنات حربة « البيكادور » . . ووخز سهام « الباندريليرو » ؟

ويجيبها « إبراهيم » بقوله : إجهاد الثور القوى حتى يقدر « الماتادور » على مواجهته والإجهاز عليه .

ويسود الصمت ، ويتجه الماتادور « الكُوردوبِث » إلى المقصورة الرئيسية ، وبعد أن يحيى الرئيس بانحناءة خفيفة يعلو صوته فى لهجة خطابية وهو يشير بذراعه إلى مدرجات الملعب الكبير . . ويترجم « إبراهيم » قوله : « الكوردوبث » يهدى الثور القوى الأصيل إلى أحبابه

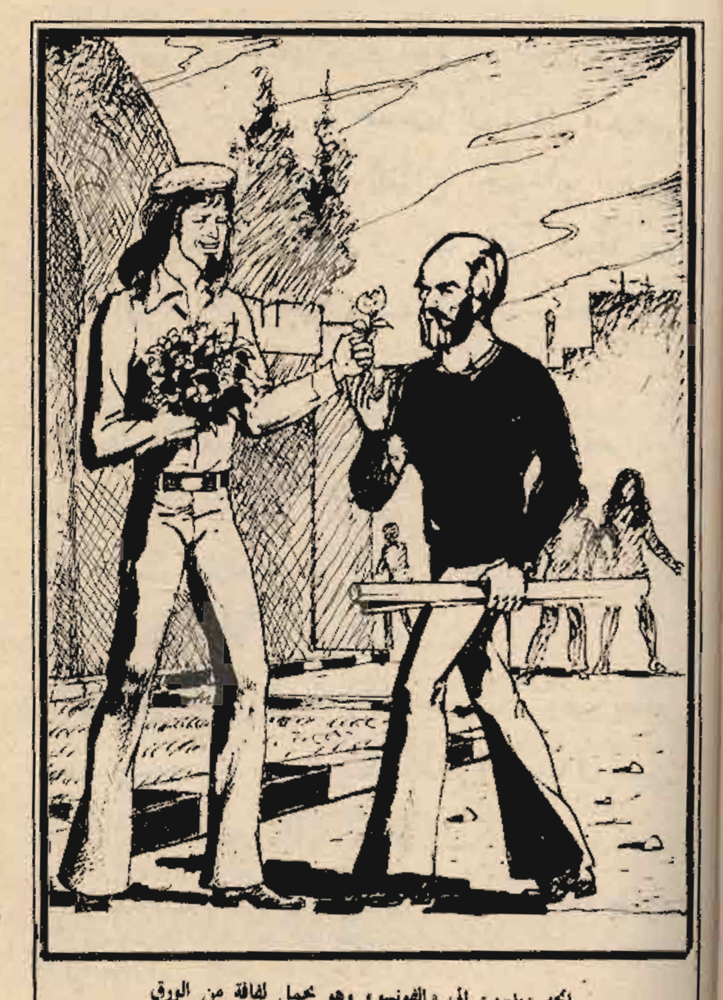
الذين حضروا للاستمتاع بفنه .

ويعلو الصياح والتصفيق ، وينحنى المصارع تحية للمتفرجين ، ثم يعود إلى وسط الحلبة شاهرًا سيفه ، وممسكًا بيده الأخرى قطعة عريضة من القماش الأحمر .

ويخيم الصمت ، ويرفع «الماتادور» رأسه عالياً وهو ينظر إلى الثور بكبرياء ، ثم يفرد قطعة القماش الأحمر . . وهو يناديه فى تحدٍ : تورو ! .. تورو .. !

ويهجم الثور بقوة ، ويدور «الماتادور» على عقبيه برشاقة ، وتعزف الموسيقى تحية له وقد نجا من قَرنى الثور ، وإن كانا قد لامسا قطعة القماش الحمراء ، وتمضى المعركة بين المصارع الذى يقف ثابتًا بمرونته أمام هجمات الثور الغاضب .

ويقف الثور حائرًا وقد فشلت هجماته المتتالية ، ويدير المصارع ظهره للثور فى غير خوف ، مواجهاً



اتجه «بدرو» إلى «الفونسو» وهو يحمل لفافة من الورق

الجماهير التى يعلو هتافها ، ثم يعود إلى الثور يلوِّح له
بقطعة القماش الحمراء وهو يخفضها إلى أسفل ، ويحنى
الثور رأسه مهاجماً قطعة القماش الحمراء ، ويرفع
المصارع سيفه ثم يغمده فى رقبة الثور عميقاً بين
كتفيه . ويدور الثور حول نفسه قبل أن يسقط فوق
رمال الحلبة .

ويقف المتفرجون يصيحون ويهللون ويصفقون ،
ويعلو صوت الموسيقى ، ويدور المصارع حول الحلبة
يتلقى تحيات الجماهير وهو يلوح لها بذراعيه ، وتنهال
عليه القبعات والأزهار والنقود .

ويلمح المغامرون الثلاثة «جوميث» وهو يغادر
مقعده ويتبعه «بدرو» ، وينظر «عامر» إليهما فى ضيق
ويقول : ما الداعى إلى العجلة ؟!..

ويضحك «إبراهيم» ويقول : صدقت يا «عامر»
فما زالت فى الحفل «باإيبا» !!..

سار المغامرون الثلاثة ورفاقهم فى مجموعتين خلف
«جوميث» الذى تأبَّط ذراع «بدرو» ، كانت المجموعة
الأولى تضم «عامر» و «إبراهيم» و «تريفو» ، وخلفهم
بخطوات قليلة أفراد المجموعة الثانية : «عالية»
و «عارف» و «أروى» . . يليهم على مَبْعَدة العقيد
«ممدوح» وصديقه «سبيرو» ، أما «مانويل» ورجاله
فلم يبد لهم أى أثر فى الطريق المقفر الذى اتجه إليه
«جوميث» بعد مغادرة مبنى مصارعة الثيران الكبير .

وشاهد الجميع سيارة نقل تقف على جانب الطريق
وقد استلقى تحتها رجل يقوم بإصلاح عطب أصاب
السيارة ، ويتحدث مع زميل له يقف وقد أسند ظهره
إلى مؤخرة السيارة وهو يدخن سيجارته .

وكان «بدرو» و «جوميث» قد اقتربا من مكان
سيارة النقل ، ورأى الجميع الرجل الواقف عند
مؤخرتها وهو يقذف سيجارته بعيداً ويضحك فى

سخرية ، وهو يصيح مشيرًا إلى اللفافة التى احتواها «بدرو» بذراعه : «أُونْ كُوَادرُو فَالْسُو» .

وعقب «إبراهيم» بالإنجليزية : يعنى اللوحة مزيفة ، أى «فالصو» بلغتنا العربية . .

وقاطعه «عامر» الذى توقف عن السير قائلاً فى دهشة : وكيف عرف أن باللفافة لوحة ؟.. ومزيفة ؟؟

ولم تمهلهم الأحداث لحظة للبحث عن إجابة لسؤال «عامر» ، كان الرجل قد اتجه ناحية «بدرو» الذى توقف عن السير محاولاً تخليص ذراعه من قبضة «جوميث» الذى كان يجذبه ناحية السيارة . . التى خرج الرجل الثانى من تحتها ، وأقبل على «بدرو» وقد أمسك قضيبًا غليظًا من الحديد .

وسمعوا جميعًا صوت محرك السيارة النقل وهو يدور استعدادًا لانطلاقها ، وكان الرجل الأول قد أطاح باللوحة من ذراع «بدرو» وأخذ يجرّه إلى السيارة وهو

يطوقه بذراعيه .

ولحق «عارف» بأفراد الجماعة الأولى الذين أسرعوا لنجدة «بدرو» ، وانطلق «عامر» كالسهم ناحية الرجل الممسك بالقضيب الحديدى الغليظ ، ونظر إليه الرجل باستهانة وسخرية ، وكاد القضيب الحديدى الذى أمسكه الرجل بكلتا يديه أن يصيب جنب «عامر» الأيسر . لولا أن أسرع بالارتماء على الأرض ، حتى يتفادى الضربة القاتلة ، وأقبل عليه الرجل وقد حنَى رأسه وكتفيه وهو يضحك ، ووثب «عامر» كالقط ، فأصابت رأسُه وَجْهَ الرجل بقوة جعلته يعوى ألمًا ، وهو يتخبط فى خطوه بعد أن أفلتت يده القضيب الحديدى ، ولم يتركه «عامر» ، بل سدّد إليه لكمة قوية أصابت فكّه الأسفل ، فعاود الصراخ ألمًا وغضبًا ، واندفع إلى «عامر» دون أن يتنبه إلى «عارف» الذى أقبل من خلفه ، ثم وثب فتعلق بعنق الرجل ، وأحاط

وسطه بساقيه ، وأخذ يضرب مؤخرة رأسه بقبضة يده ضربات موجعة أفقدته الرشد ، قبل أن يسقط على الأرض .

والتفت « عامر » خلفه ناحية « إبراهيم » الحائز على الحزام الأسود فى بطولة القاهرة فى لعبة « الكاراتيه » فشاهده يقفز عاليًا ويستدير نصف دورة قبل أن يسدد قدمه اليمنى التى تنطلق بقوة كالقذيفة إلى صدر الرجل الذى كان يحاول جرّ « بدرو » إلى السيارة . .

ويتراجع الرجل خطوات إلى الخلف ناحية « عامر » الذى يمسكه من كتفه ، فيديره ناحيته ليجهز عليه بلكمات متلاحقة ؛ قبل أن يتهاوى ويرقد بجانب زميله الذى استراح « عارف » بالجلوس فوقه . .

وتعالت ضحكات « عامر » و « إبراهيم » و « عارف » وهم يرون « تريفو » يسدد لكماته الفنية – بأسلوب رياضى قانونى – إلى وجه وصدر سائق السيارة

وكأنهما ملاكمان على « الرنج » أى حلقة الملاكمة .

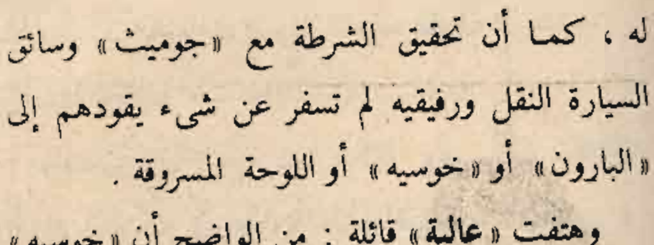
وردد « عارف » مع « إبراهيم » هتاف « عامر » : « أوليهِ تريفو . . . أوليه » . ! !

وأقبلت سيارات الشرطة فقطعت عليهم متعة مشاهدة المباراة الممتعة بين « تريفو » الذى كان يجيد الإفلات من ضربات السائق العملاق ، الذى كان يزأر ويسب فى غضب كلما أصابت قبضة « تريفو » كرشه الضخم ، ولكنه صمت وتسمّر فى مكانه ، رافعًا ذراعيه عندما شاهد العميد « ما نويل » الذى أقبل عليهم مسرعًا .

ولحق بهم « ممدوح » و « سبيرو » . . وهما يدفعان أمامهما « جوميث » الذى حاول الهرب عندما أبصر نتيجة المعركة .

عالية عندها فكرة

فى الصباح التالى دعا «سفَاليس» ضيوفه الذين قدموا معه من «أثينا» إلى جلسة فى إحدى قاعات فندق «بِرِنْسِسًا صُوفِيًا» أى «الأميرة صُوفيا» ، كما لبى دعوته العميد «مانويل» والدكتور «أشرف» و «أروى» و «إبراهيم» .



عالية

كان «سفاليس» قد أعد للحفل الذى وعد بإقامته عندما يتسلم اللوحة المسروقة بعد لقاء «بدرو» بصاحبه «خوسيه» ، ولكن الأحداث تعقدت وزادت غموضًا ، فقد اختفى «خوسيه» ، و «البارون» لا أثر

له ، كما أن تحقيق الشرطة مع «جوميث» وسائق السيارة النقل ورفيقيه لم تسفر عن شىء يقودهم إلى «البارون» أو «خوسيه» أو اللوحة المسروقة .

وهتفت «**عالية**» قائلة : من الواضح أن «خوسيه» قد اتصل «بالبارون» !

وتطلعت إليها أنظار الجالسين ، وأشرق وجه «عارف» بابتسامة واندفع يقول : صدقتِ يا «عالية» . . كيف عرف رجل العصابة أن اللفافة بها لوحة مزيفة !!؟

وصاح «**إبراهيم**» : هذا صحيح !.

وقام العميد «مانويل» من مكانه وقال فى ضيق وهو يتطلع إلى ساعته : معذرة . . ليس لدى وقت أضيعه فى الاستماع إلى حديثكم الممتع .

وسأله «**سفاليس**» : هل توصَّل رجالكم إلى شىء ؟

وابتسم العميد «**مانويل**» وهو يقول فى هدوء : أنا أدرك حقيقة مشاعرك . .

والتفت إلى المغامرين الثلاثة وهو يكمل قائلاً : وأدرك رغبتكم فى معاونة الشرطة وإنى لأشكركم ، ولكن هذه العصابات الخطرة لا يتصدى لها سوى رجال الشرطة القادرين .

وانصرف العميد «مانويل» بعد أن حيّا الجميع بأدب وكياسة ، وبعد أن اعتذر «سبيرو» و«ممدوح» عن مرافقته .

وضحك «سفاليس» وهو يقول فى غيظ عظيم . . ! لم يعد أمامنا سوى القيام بجولة فى ربوع أسبانيا قبل العودة إلى «أثينا» .

وضحك «**عارف**» وهو يقول : وما المانع يا سيدى ؟! ما دامت الشرطة لا تؤمن بقدرتنا على المعاونة .

وهتف «**تريفو**» قائلاً فى حماس : ما رأيك يا «عامر» فى الذهاب إلى «كُوستَا بِرَافَا» للانزلاق على الماء ؟

وقاطعته «**عالية**» بقولها : عندى فكرة !

وابتسم «**عارف**» وهو يسألها : وما هى الفكرة يا أم الأفكار ؟

وأجابت «**عالية**» قائلة : نبدأ الجولة التى اقترحها السيد «سفاليس» بزيارة «طَرَّكُونَة» .

وهتف «سفاليس» فى ضيق : أتمزحين يا «عالية» ! ! ؟

وأجابته فى هدوء : لا يا سيدى ، ولكنى أؤمن بأن زيارة «طَرَّكُونَة» هى أول الطريق الذى يقودنا إلى اللوحة المسروقة .

وقال «**عامر**» : «خوسيه» كان يعيش فى

«طَرّكُونَة» ، ولكنه غادرها بعد أن أفلت من رقابة الشرطة .

وقالت «عالية» : من يدرى !. ربما عثرنا هناك على دليل يقودنا إليه . .

وهتف «سبيرو» : هذه فكرة صائبة يا «عالية» ، وقد عرفت من «مانويل» أن «خوسيه» يقيم هناك فى حى الغجر ، أو «خِيتَانُوسْ» كما يسمونهم .

وردد «عامر» الاسم ببطء : «خِيتَانُوس» !

وأجابه «سبيرو» : أجل و «خوسيه» «خِيتَانُو» ، أى غجرى من غجر أسبانيا .

وسكت لحظة ثم أضاف : سوف أتصل الآن بالعميد «مانويل» وسوف يرحب بالذهاب معنا . .

وابتسم «سفاليس» فى سرور وهو يقول : ماذا تنتظر يا «سبيرو» ؟. التليفون أمامك .

صورة عازف الجيتار


عامر

الطريق إلى «طَرّكُونَة» جنوبى غرب «برشلونة» ممهد ، تهب عليه نسمات البحر القريب فترطب من حرارة الصيف ، وتكثر على جانبيه الحدائق والبساتين والتلال الخضراء المغطاة بدوالى العنب وأشجار الزيتون .

ويصل المغامرون الثلاثة ورفاقهم إلى مدينة «طَرّكونَة» الواقعة على منحدر صخرى يمتد ناحية البحر ، والمطلة على وادٍ تكسوه الخضرة الزاهية وتحنو عليها سلاسل من جبال عالية .

وتبدت لهم أطراف النخيل من وراء أسوار بعض المنازل ذات الطراز العربى الأندلسى وسط أحياء قديمة تتخللها طرق ضيقة ، تبدو وما تبقّى من أسوار المدينة الضخمة العتيقة وقلاعها الأثرية وكأنها ما زالت تعيش أيام حكم الرومان القديم .

ومرت بهم السيارة فى أحد أحيائها الحديثة . . وقرأ «عامر» بصوت مرتفعٍ لافتة الشارع الفسيح : «أَفينيدَا رَمْبلاَ دِلْ جنِرَاليزِيمو» :

وقال «إبراهيم» : لا يا «عامر» أل «فِ» تنطق «ب» فنقول «أبِنيدا» أى الطريق الكبير . . وعنوان الشارع يصبح : طريق «رَمْلِه» القائد الأعظم .

ويشاهدون فى طريقهم الكنيسة الكبيرة — أو «الكَاتِدْرَال» كما يسمونها — ويخبرهم الدكتور «أشرف» أنها أُقيمت مكان جامع «طَرّكُونة» ، وأن بها محرابًا من الرخام عليه كتابة بالخط الكوفى تتعلق

بأعمال أجريت بالجامع بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر ، سنة تسع وأربعين وثلاثمائة هجرية .

وتقترب السيارة من مبنى الشرطة ، وكان العميد «مانويل» قد امتدح فكرة الذهاب إلى «طرّكُونة» برغم اعتذاره عن مرافقتهم لكثرة مشاغله ، وأوفد معهم الرائد «باكو» الذى قادهم إلى مكتب مدير الشرطة . . ورحب بهم مدير الشرطة ، ثم أوفد معهم أحد رجاله ليدلهم على مسكن «خوسيه» .

وعند «ورشة الحدادة» الصغيرة التى يملكها «خوسيه» لقوا والده العجوز الذى قادهم عبر «الورشة» إلى غرفة ملحقة بها .

كانت الغرفة ضيقة ، وبها سرير صغير وستارة بيضاء تغطى نافذة عريضة ، ولاحظت «عالية» جانبًا من صورة صغيرة مُعلّقة على الجدار تحت «جيتار» قديم أسود اللون مُعلّق فوقها . . وارتقت «عالية» الفراش

الصغير وأزاحت «الجيتار» عن الصورة التى أسرع «عامر» بخلعها من المسمار المثبتة إليه .

كانت الصورة لرجل صغير الجسم ، أسود الشعر ، تميز وجهه عينان واسعتان وشارب ضخم يتدلى طرفاه على جانبى فمه ، وكان الرجل يحتضن «جيتاراً» بين ذراعيه ، وأمامه فتاة صغيرة ترقص . . ويبدو خلفهما حائط أبيض اللون ، عليه عدة صور تتوسطها واحدة كبيرة لشاب «منفُوش» الشعر . . صاح «إبراهيم» بعد أن تأملها طويلاً : «مُورِينُو» ! ! .. هذه صورة لاعب الكرة الشهير «مورينو» «كابتن» فريق «رِيَال مدريد» !

واقترب الرجل العجوز من «عالية» . . وأشار بأصبعه إلى عازف الجيتار فى الصورة . . وقال بصوت مَبحُوح خافت : «خوسيه» مى إيخُو .

وترجم كلامه «**إبراهيم**» قائلاً : يقول «خُوسيه» ابنى .

وأشار العجوز إلى الراقصة فى الصورة وقال مبتسماً : «لُولاَ» مى إيخَا .

وهتف «**عارف**» قائلاً : لابد أنه يقول «لولا» ابنتى .

وضحك «**إبراهيم**» وقال : هذا صحيح . .

وقالت «**أروى**» للعجوز وهى تشير إلى صورة «لولا» : إرْمَانَا دِه «خوسيه» .

وترجم «إبراهيم» : أروى تقول . . أخت «خوسيه» .

وهز العجوز رأسه . وأشارت «أروى» بأصبعها إلى الصورة وهى تسأل : «دُنْدِه» ؟

وترجم «إبراهيم» : «أروى» تسأل : أين ؟ وتقصد مكان الصورة .

وهتف عمهم الدكتور «أشرف» قائلاً : المكان يشبه كهوف الغجر فى «غرناطة» . .

وابتسم الرجل العجوز وهو يقول بصوته المبحوح : جرانادا .

وعادالرجل يقول : كَافَاس سَاكرومُونتى .

وأوضح الدكتور «أشرف» : يقول كهوف «ساكرومونتى» أى الجبل المقدس الذى يعلو «دير ساكرومونتى» قمته . . وتوجد بالجبل كهوف وبيوت صغيرة يسكنها الغجر ، أى «الخِيتَانُوس» .

وهز العجوز رأسه وهو يقول : سى . . سى . . !

وقال «إبراهيم» : يقول . . نعم . . نعم . . وكأنه قد فهم حديث أبى .

وقالت «عالية» وهى تشير إلى الصورة : سوف تقودنا هذه الصورة الصغيرة إلى حل لغز اختفاء «خوسيه» . .

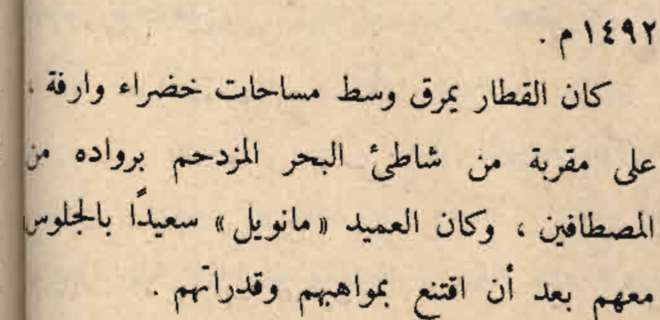
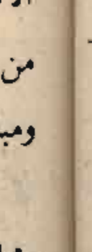
وتحولت الأنظار إليها فى دهشة . . فأكملت قائلة وهى تنظر مبتسمة إلى «سَفَالِيس» : خطوتنا التالية فى الجولة التى اقترحها هى «غرناطة» العرب . أو «جرانادا» كما يطلقون عليها .

وصفق الرائد «باكو» إعجاباً بـ «عالية» ثم قال : أنت جديرة بالتقدير ، ولم يكن العميد «مانويل» منصفاً عندما أعلن عدم حاجته لمعاونتكم .

وسبقتهم «عالية» إلى الخروج من الغرفة وهى تتطلع بإمعان فى الصورة الصغيرة التى سمح لهم الرجل العجوز بأخذها .

جامع قُرطُبَة

كانت المناظر الجميلة تتسابق أمامهم ، وهم يتابعونها من نوافذ القطار السريع الفاخر فى طريقهم إلى «غِرنَاطَة» التى سقطت فى يد الأسبان فى يناير من عام ١٤٩٢م .

عارف

كان القطار يمرق وسط مساحات خضراء وارفة ، على مقربة من شاطئ البحر المزدحم بروّاده من المصطافين ، وكان العميد «مانويل» سعيدًا بالجلوس معهم بعد أن اقتنع بمواهبهم وقدراتهم .

وتوقف القطار عند «بَلَنسِيَة» ، ثالثة المدن

الأسبانية بعد «مَدْرِيد» و «بَرْشِلُونَة» ، وهى على مقربة من شاطئ البحر المتوسط ، وذات شوارع فسيحة ومبان حديثة شاهقة ، وحدائق وبساتين عامرة .

وقال «إبراهيم» : «بلنسية» بها مصانع متعددة ، ومحاصيلها الزراعية وافرة وأشهرها الأرز ، فهى تنتج أحسن أنواعه فى العالم .

والتفت إلى «عارف» وهو يقول : سألتنى بالأمس عن الكلمات العربية الموجودة فى اللغة الأسبانية . . وهى كثيرة تعد بالمئات . .

فقال «عارف» وهو يخرج مفكرته وقلمه من جيبه : هذا صحيح . . وأنا أريد كتابتها حتى أبعث بها فى خطابى القادم إلى الأسرة فى القاهرة . .

فضحكت «أروى» وهى تقول : أول هذه الكلمات الأرز فهم يقولون «ألّرّث» والزيت يقولون «ألثِيته» . . و «الثّيتُونَه» تعنى الزيتون . . والصابون

يسمونه « الخَابُون » .

وقاطعها « **إبراهيم** » قائلاً : والقميص « كَمِيسَا » . .

وفندق « فُنْدَا » . . ومِخَدّه « مُوَدّه » . . ودينار « دِنِيرُو » . . والفارس « الفارِيز » .

وقال « **عارف** » . . وهو يدون الكلمات فى مفكرته : سوف أكتب مقالة فى صحيفة المدرسة عن هذا الموضوع الشائق !!

فصاح « **عامر** » قائلاً : قل إن شاء الله . .

فضحكت « **أروى** » وهى تقول لـ « عامر » : وبالأسبانية يقول « أُوخَلاَ » .

وكان القطار – وهو يشق طريقه نحو الجنوب عبر الأودية والمراعى وأشجار الزيتون – قد وصل إلى « كُرْدُبَا » ، أو « قُرْطُبَة » التى فتحها العرب سنة عبورهم من أفريقيا عام ٧١١م . . ومكثوا بها حتى عام ١٢٣٦م .

والتفت المغامرون الثلاثة ناحية عمهم « أشرف » الذى كان يترنم بأبيات شعرية بصوت حالم وحزين .

وقال « إبراهيم » بصوت خفيض : أبى ينشد أبياتًا من قصيدة « الرّندى » فى رثاء الأندلس التى تثير مشاعره وتحفظها عن ظهر قلب . .

وقاطعته « **عالية** » قائلة : كانت من المحفوظات المقررة دراستها فى العام الماضى بالمدرسة . . ومطلعها :

لكلِّ شىء إذا ما تَمَّ نُقصانُ

وأكمل « عارف » بيت الشعر ضاحكًا :

فلا يُغرُّ بطِيبِ العيشِ إنسانُ . .

وكان الدكتور « **أشرف** » ينشد قائلاً :

وأين قرطبة دار العلوم فكم

من عالم قد سما فيها له شأن

وصاح « **إبراهيم** » : وصلنا « قرطبة » يا أبى . . بلد العلماء . .

وابتسم والده وهو يتنهد قائلاً : هذا صحيح يا ولدى . . كانت « قرطبة » قِبْلَةَ العلماء ، ومن علمائها « ابن رُشْد » الذى كتب فى الدين واللغة والطب والفلك وغيرها من العلوم . . و « ابن حَزْم » الذى نقلت أوربا علومه ، و « الزرقالى القرطبى » عالم الفلك . . و « أبو القاسم الزهراوى » الطبيب وصاحب المؤلفات القيمة فى الجراحة . .

وقاطعته « **عالية** » بقولها : أبى يعكف كل ليلة بعد صلاة العشاء على القراءة فى تفسير القرآن للإمام القرطبى .

وقال العقيد « **ممدوح** » : علماء الأندلس كثيرون ، وهم أصحاب فضل على الحضارة الغربية لا ينكره أهلها ، وأفادت منهم الإنسانية فى مشارق الأرض ومغاربها .

ومرّ القطار بأسوار جامع « قُرطبة » . . وقال

الدكتور « أشرف » : الجامع لا يكشف مظهره الخارجى عن عظمته ، فهو من أعظم المساجد فى العالم الإسلامى ، وكان مركزًا لجامعة قرطبة الشهيرة ، ونافس المدرسة النظامية ببغداد ، والأزهر الشريف بمصر . .

وقاطعه العميد « **مانويل** » قائلاً : ما زلنا نسميه « لامِزْكِيتَا » . . أو « الجَامَا » . .

وقال « **إبراهيم** » التسمية مُحرَّفة عن العربية . . فهى « المسجد » . . أو « الجامع » . .

وقال « **عارف** » مقاطعًا : أرجو أن تصف لنا هذا الجامع العظيم يا عمى !

وابتسم الدكتور « **أشرف** » وهو يجيبه قائلاً : كان للجامع واحد وعشرون بابًا مكسوّة بالنحاس ، وكان الأوسط مكسوًّا بصفائح من الذهب ، وعندما تنفذ من أحدها إلى ساحة الجامع المكشوفة الواسعة تجد

نفسك بين نافورات الماء وأشجار البرتقال . . وتعبر الساحة إلى المسجد الذى كان يُنار فى الليل بسبعمائة وأربعة آلاف من المصابيح ، وكان مصباح المحراب من الذهب الخالص .

وهتف «**عامر**» فى دهشة : مصابيح ! ! . .

وضحك الدكتور «**أشرف**» وهو يقول : طبعاً ليست مصابيح كهربائية ! كانت تُضاء بالزيت ، وتستنفد منه فى كل شهر ألفَىْ رطل . . وعشرة أرطال من العنبر وبخور «النَد» الثمين .

وابتسم العقيد «**ممدوح**» وهو يقول : «النَد» هو أخشاب «العُود» الذى تضيفه أُمكم إلى البخور الذى تطلقه فى المنزل قبل صلاة الجمعة من كل أسبوع .

وعاد الدكتور «**أشرف**» يكمل قائلاً : ولكن ضوء الجامع الآن خافت بعد أن أزال الأسبان معظم قبابه التى كانت تمده نهاراً بالضوء . . وفى الجامع تجد

نفسك وسط الأعمدة الرخامية التى كانت مكسوّة بالذهب . . وكان عددها ألفًا وأربعمائة وسبعة عشر عموداً . . تعلوها أقواس قُسِّمت ألوانها إلى مساحات متساوية ومتعاقبة من الأحمر والأصفر . والمحراب كُتبت عليه بلون ذهبى آيات بيِّنات من القرآن الكريم فوق أرضية زرقاء . . وتختفى وسط الأعمدة المترامية كنيسة أقامها الأسبان بعد سقوط قرطبة . .

وقاطعه العقيد «**ممدوح**» قائلاً : قرأت أن ملكهم «شَرْلَكَان» الذى وافق على إقامتها قال عندما شاهدها : «بنيتم هنا ما كان يمكن بناؤه فى أى مكان آخر . . وقضيتم بذلك على ما كان أثرًا وحيدًا فى العالم» .

وهزّ الدكتور «**أشرف**» رأسه وهو يقول فى أسًى : أين هذا مِن نُبْلِ العروبة ومروءة رجالها ! !

ويسأله «**عامر**» ماذا تقصد يا عمى ؟

ويجيبه الدكتور «**أشرف**» بقوله : حدث أن كان والى «قُرطبة» يحاصر بجيوشه مدينة «طُلَيْطِلَة» أى «تُولِيدُو» ، وضيّق الوالى حصاره للمدينة ، ولم يبق أمام أهلها سوى الاستسلام والهزيمة . . فأرسلت ملكتهم السيدة «بيرنجر» إلى الوالى تقول إنه لا يليق بفارس بطل أن يحاصر امرأة ! فما كان من الوالى إلاّ أن انسحب بعد أن أرسل إليها بالتحية .

* * *

وكان القطار قد وصل بعد رحلة طويلة إلى «غِرْنَاطَة» أو «جَرَانَادَا» . .

سأل «عارف» : ما معنى «جرانادا» ؟

وأجابه «**إبراهيم**» : معناها «الرمانة» . . وشعار المدينة ثلاث رمانات تراها منقوشة على الباب الرئيسى لقصر «الحمراء» .

وأقلتهم سيارة من محطة السكة الحديدية – فى

شارع «سُوتِيلُو» ، قرب ساحة مصارعة الثيران – إلى شارع «كُولون» الكبير ، أفخم شوارع المدينة ، ومنه إلى طريق «الملكين الكاثوليكيين» المقاطع له ، وهو الشارع التجارى الكبير الذى أفضى بهم إلى فندق «أَنْدَالُوسِيًّا» فى «بِلاَثَا نُويبَا» أى «الميدان الجديد» . .

ومن نافذة الفندق أشار الدكتور «أشرف» إلى سلاسل الجبال البعيدة وهو يقول : هذه جبال «سييرا نيفادا» أو جبل الثلج أو «شلير» كما أطلق عليها العرب ، لأن الثلج يغطيها صيفاً وشتاءً .

وقال «**إبراهيم**» لـ «لعامر» : هذه الجبال يرتادها الراغبون فى الانزلاق على الثلج طول العام .

وقالت «**أروى**» : يمكنك التزحلق على الثلج صباحاً ، وعلى ماء البحر عصراً !

وهتف «**عامر**» فى دهشة : هل هذا معقول ! ! ؟

وأجاب «**إبراهيم**» قائلاً : هذا صحيح ، فالجبال

لا تبعد عن ساحل البحر المتوسط بأكثر من مائة كيلومتر . . عند «كُوستَادِلْ سُول» . . أى «شاطئ الشمس» . . حيث تجد كل أسباب الاستمتاع والراحة .

وأشار الدكتور «**أشرف**» إلى نهر صغير يشق المدينة وقال : هذا نهر «دَارُو» — الذى أسماه العرب «حدرّه» — وهو يفصل كما ترون بين مرتفعين هامين .

وأشار إلى أحد المرتفعين وهو يكمل قائلاً : فوق هذا المرتفع يقع قصر «الحمراء» الشهير وحدائق «جنة العريف» . .

وأكمل وهو يشير إلى المرتفع الثانى : وهذا المرتفع يضم حى «البَيَازِين» ، وما زالت بعض بيوته الصغيرة تحتفظ بطابعها العربى ، لكل منها حديقته ونافورته ، وفى أحد مبانيه القديمة مدرسة الدراسات العربية التى تصدر مجلة «الأندلس» .

وقال العقيد «ممدوح» : قرأت فى النشرة السياحية أن كهوف الغجر ومساكنهم تقع فى هذا المرتفع .

وأوضح «**إبراهيم**» قائلاً : هذا صحيح ، وهى على المنحدر ، خلف أسوار حى «البَيازِين» القديمة ، وبعضها يمتد على الطريق الطويل الصاعد إلى دير «سَاكُرومُونتى» عند قمة الجبل .

وفى قاعة الطعام بالفندق ينصحهم الدكتور «أشرف» بتناول «الجَاسبَاتشُو» ، فهو خير ما يصلح فى هذا الجو الحار من طعام ، ويرحب الجميع باقتراحه ، ولكن «عامر» يصيح محتجاً بعد أن تناول بملعقته قليلاً من «الجَاسبَاتشُو» فيقول : ما هذا ؟ . . شُوربة مثلجة ! !

وتعارضه «عالية» بقولها : ولكنها لذيذة جداً . . . ترى ما هى محتوياتها ؟ . . وكيف يعدُّونها ؟ . . حتى

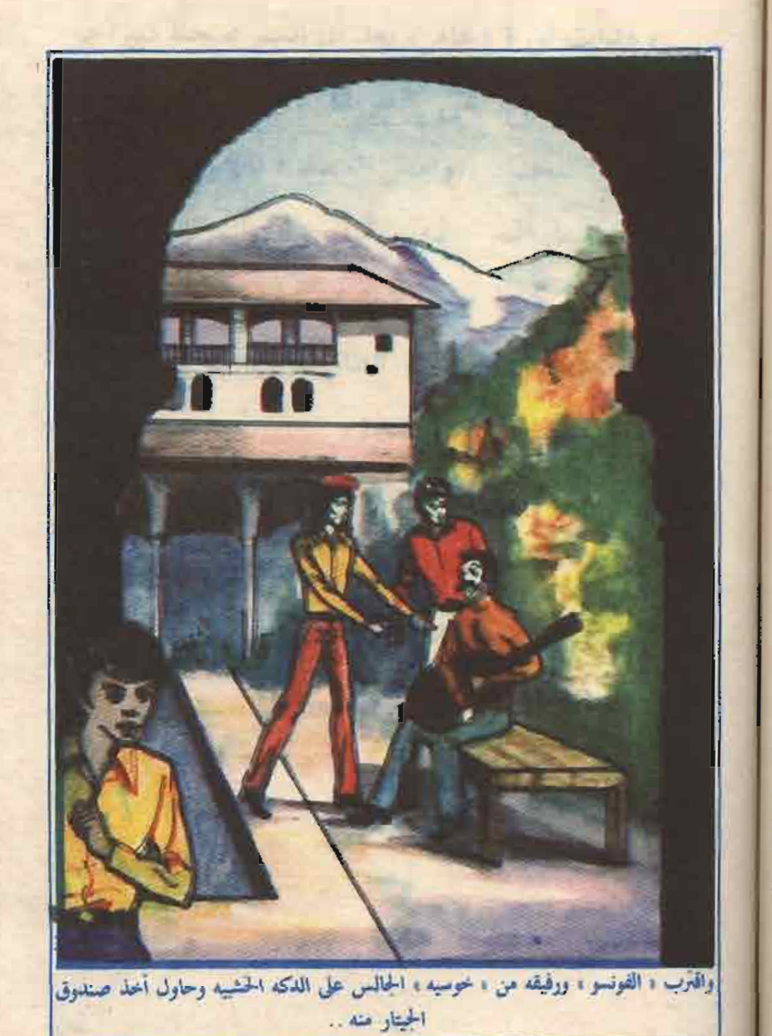
أهدى طريقة إعدادها لأمى فتقدمها لنا أيام الحر القائظ .

وأجابها العميد « **مانويل** » بقوله : « الجَاسبَاتشُو » خليط من طماطم وفلفل أخضر وخيار وثوم . . تُدق جميعها مع لُبابَة خبز ، ثم يُضاف إليها زيت زيتون وخل وملح . . . وثلج . . !

وقال العقيد « **ممدوح** » : لدينا الـ « شَلَوْلَوْ » فى صعيد مصر ، وهى أكلة تشبه « الجاسباتشو » ، ويُقبل عليها الناس أيام الصيف الشديدة الحرارة . .

وهتف « تريفو » وقد أعجبه اسم الأكلة : « شَلَوْلَوْ » ! ! اسمها يغرى بأكلها . . كيف يُعدّونها ؟

وأجابه العقيد « **ممدوح** » : هِي أكلة لذيذة يعدونها من مسحوق أوراق نبات الملوخية الجافة . . مع طماطم وبصل وعصير ليمون وشَطّة . . تُقَلَّب جميعها فى ماء بارد . . وتؤكل مع خبز « شَمْسَى » طرى .


واقترب « الفونسو » ورفيقه من « خوسيه » الجالس على الدكه الخشبيه وحاول أخذ صندوق الجيتار منه ..

. وهدأت ثورة «عامر» بعد أن التهم صحناً كبيراً من الحمص المطبوخ على الطريقة الأندلسية بالصلصة وقطعاً من اللحم . . وأمطر العميد «مانويل» بعبارات الشكر عندما أشار عليه بتناول «الجرَان فِلانِيرُو» . . فوجده قالباً كبيراً من «الكريم كرَّامِل» . . تحيط به حبات كبيرة من الفراولة الطازجة . . يتوج كل حبة منها كرة صغيرة من القشدة .



كان الليل قد أقبل عندما وصل المغامرون الثلاثة ورفاقهم مع العميد «مانويل» إلى كهوف الغجر «خِيتَانُوس» وبيوتهم المتواضعة . . الواقعة على الممر الذى يفصله عن المنحدر الجبلى سور حجرى قصير .

عامر

وكان المغامرون الثلاثة يقفون مع رفاقهم ، وقد استندوا إلى السور الحجرى القصير يتأملون أسوار الحمراء وأبراجها العالية ، فوق الهضبة المواجهة ، وقد أحاطت بها أطراف الأشجار الشامخة . . التى تغطى الهضبة حتى سفحها ، فتبدو «الحمراء» وكأنها تطل من

علٍ – فى عظمة وكبرياء – على البيوت المتلاصقة فى بطن الوادى .

وعلت ضحكات العقيد «ممدوح» و«سبيرو» ، وكانا يقفان على مقربة مع العميد «مانويل» ، الذى كان يترجم إلى الإنجليزية ما تنطق به قارئة الكف الغجرية العجوز ، التى أمسكت بيد العقيد «ممدوح» تقرأ طالعه وهى تحدق فى كفه بعينيها الكليلتين فى الضوء الخافت ؛ والكلمات تنطلق سريعة من فمها الخالى من الأسنان ، وكأنها تقرأ فى كتاب محفوظ .

واقترب شاب أسمر اللون من «عامر» . . وتحدث إليه بإنجليزية ركيكة قائلاً : تعالوا معى ، عندنا «الفُوسفُورِيتُو» أشهر مغنٍّ وعازف جيتار .

وضحك «إبراهيم» وهو يقول : «الفُوسفُورِيتُو» معناها الكبريت . .

وعاد **الشاب الأسمر** يقول : نحن نقدم

«الفِلاَمِنْكُو» الأصيل ، والدخول عندنا بخمسمائة «بيزيتا» فقط .

وقالت «أروى» موضحة : «الفِلامِنْكُو» فنٌّ غجرى متوارث ، وهو غناء على أنغام جيتار يصاحبه رقص له طابعه المميز . .

وقال «إبراهيم» : و ٥٠٠ «بيزيتا» تساوى حوالى أربعة جنيهات مصرية .

واقترب منهم العقيد «ممدوح» الذى كان يتابع حديثهم من مكانه ، فدس فى يد الشاب الأمر ورقة مالية صغيرة وهو يقول : نريد مشاهدة الراقصة «لُولاَ» .

وقَلَب الشاب الأسمر شَفته فى استهانة وهو يقول : لدينا الأحسن منها ، عندنا الراقصة المشهورة «لاتُومَاتَا» التى ترقص وهى حافية القدمين . . !

وضحك «إبراهيم» وهو يقول : «لاتوماتا» تعنى

الطَمَاطِم . . !

وسكت الشاب الأسمر لحظة . . ثم أشار إلى باب قريب تعلوه مجموعة من المصابيح الملونة وهو يقول : هذا كهف «أُورتِيجَا» . . «لُولاَ» ترقص هنا .

ورحبت بهم امرأة عجوز أمام باب الكهف عندما علمت أنهم من «مصر» فصاحت تقول : أنتم أولاد عمومتنا . . نحن أيضًا من «مصر» ، وملكتنا كانت ملكة على «مصر» أيام الفراعنة القدماء . نحن «إخبِثْيانُو» . .

وضحكت «أروى» وهى تقول : «إخبيثيانُو» معناها مصريون .

وقال «إبراهيم» للمرأة العجوز : هذا غير صحيح . . الغجر أصلهم من الهند .

فضحكت العجوز وهى تقول : وهل الفارق كبير ! ! كلها بلادنا . . الغجر فى كل البلاد . .

ودخلوا الكهف وإذا به حجرة صغيرة ، دُهن سقفها وجدرانها الثلاثة باللون الأبيض ، وعلقت على الجدران بعض الأطباق الخزفية ، والأباريق المعدنية ، والصوانى النحاسية ، والصور الملونة ، ورُصّت حول الجدران الثلاثة مقاعد صغيرة من الخشب مكسوة بالقش .

وأشار « إبراهيم » ناحية الصور المعلقة . . وتطلعت « عالية » ناحيتها . . ثم قالت : صورة « مورينو » لاعب الكرة . . هذا هو المكان المنشود .

واتخذوا أماكنهم فوق الكراسى الخشبية . . وأسرع إليهم صبى صغير بأكواب من شراب الليمون البارد . . وعندما اكتمل عدد الجالسين فى الكهف أقبل عازف جيتار عجوز أشيب الشعر وجلس عند الستارة التى تغطى مدخل الكهف . .

وبدأ يداعب أوتار الجيتار ، وانطلقت الأنغام

بطيئة يرن صداها فى الكهف الضيق ، ثم تلاحقت سريعة فى عنف عندما قفزت من خارج الكهف إلى وسطه راقصة ذات شعر أسود طويل ، ترتدى ثوباً أصفر تحليه دوائر صغيرة حمراء . . أخذت ترقص وهى تدق أرض الكهف بأقدامها فى قوة تصفق بيديها وتصيح : أوليه !.. أوليه !..

وهمست « **عالية** » فى أذن خالها « **ممدوح** » الجالس بجانبها . . قائلة : « لُولاَ » .

وهزّ « ممدوح » رأسه فى صمت وهو يتابع الراقصة التى طلبت من الحاضرين بإشارة من يديها التصفيق معهم على إيقاع الموسيقى . . ثم ضمت أصابع يديها على « الكَاستَانيانِتْ » الخشبى المعلق بخيط فى إحدى أصابع يدها . . فتعالى إيقاع دقاته مصاحباً لحن الجيتار المتوثب ووقْع أقدامها وتصفيق الحاضرين .

وقال « **عامر** » « لتريفو » : « الكاستانيانت » يشبه

الصاجات النحاسية التى تدق بها الراقصة الشرقية على إيقاع الموسيقى .

وعاد إيقاع اللحن بطيئًا ، وهدأت أقدام الراقصة وانسابت خطواتها ، وارتفع صوت المغنى العجوز خشنًا قويًا . ومال «عارف» ناحية «إبراهيم» وهو يقول : كأنى فى القاهرة أستمع إلى مغنٍّ شعبى يحكى قصة الفتى زهران .. أو ينشد موال «أدهم الشرقاوى» .

وأضاف «**إبراهيم**» قائلاً : هذا صحيح ، والغناء له نفس الطابع الحزين ..

وقاطعته «**أروى**» قائلة بصوت خافت : انظروا إلى الجالسين قرب مدخل الكهف خلف المغنى ..

والتفت «**عارف**» ناحية مدخل الكهف ثم قال بصوت منخفض : أرى «الفونسو» بلحيته الصغيرة و«البيريه» الأزرق ...

وقالت «**عالية**» مقاطعة : هذا صحيح .. هذا

«الفونسو» الذى رأيناه فى ميدان أسبانيا ببرشلونة عندما أعطى التذكرة لـ «بدرو» !.

وقال «**عامر**» : و«خُوسيه» هو الجالس بجانبه .

وعاودت «عالية» النظر إلى الجالسين قرب باب الكهف مع المرأة العجوز ، وطالعتها الملامحُ التى تميز «خوسيه» فى الصورة الصغيرة : الجسم النحيف ، والشعر الأسود ، والعينان الواسعتان ، والشارب الضخم الذى يتدلى على جانبى الفم .

وقامت «أروى» من مكانها ، وقد أمسكت آلة التصوير المعلقة حول رقبتها وتظاهرت بتصوير المغنى العجوز ، وسطع ضوء «لمبة الفلاش» عندما التقطت الصورة ، فهبَّ «خوسيه» من مكانه فى غضب ، وأسرع إلى «أروى» فاختطف آلة التصوير من يدها فى غضب وهو يهدر بكلمات غير مفهومة .

وقبض «عارف» على يد «خوسيه» قبل أن يفتح

آلة التصوير لإفساد الفيلم ، فى حين أطبق « عامر » بيديه حول عنقه ، وصاحت المرأة العجوز :

لا يا « خوسيه » ، اتركهم يا ولدى ، هؤلاء أقاربنا من مصر.

وشجعت كلمات المرأة العجوز « خوسيه » على التراجع ، بعد أن رأى الغضب يلمع فى أعين « عارف » و « عامر » . . وصاح « عارف » يأمره بترك آلة التصوير ، وقال « خوسيه » بإنجليزية سليمة :

التصوير غير مصرح به فى الكهف بدون مقابل . .

وصاحت المرأة العجوز مرة ثانية عندما رأت « خوسيه » قد أحاط به « إبراهيم » و « تريفو » إلى جانب « عارف » و « عامر » فقالت : اعتذر لهم يا « خوسيه » . . هم ضيوفنا . .

وابتسم « خوسيه » وهو يعيد آلة التصوير إلى « أروى » . . وعادت المرأة العجوز تصيح قائلة : غنِّ

لهم . . غنِّ يا « خوسيه » . .

وضحك « خوسيه » الذى اتجه ناحية المغنى العجوز الذى ناوله الجيتار وأفسح له مكانًا بجانبه . . وانطلق صوت « خوسيه » عاليًا يصاحب عزفه المتمكن ، ودقات أصابعه السريعة على سطح الجيتار الخشبى .

وبدأت « لُولا » تتثنى فى خطوات ناعمة أمام « خوسيه » ، ثم انطلقت مع اللحن الذى تسارع إيقاعه ، تدق الأرض فى عصبية دقات سريعة متلاحقة وهى ثابتة فى مكانها ، رافعة رأسها فى شموخ وكبرياء . وابتسم « عامر » وهو يقول : كأنَّ دقات كَعْبَىْ حذائها وقع أقدام جواد يعدو ، أو صوت طلقات رصاص تتدافع من مدفع رشاش .

وهدأ الإيقاع السريع وعاد بطيئًا كما بدأ ، وتوقفت الراقصة ، وانحنت تحية للجالسين وهى تجفف عرقها براحة يدها ، ثم أسرعت إلى خارج الكهف

وسط الهتاف والتصفيق .

وشاهد المغامرون الثلاثة ورفاقهم «خوسيه» وهو يغادر الكهف مع «الفونسو» ، والتفت «عامر» إلى العميد «مانويل» . . الذى ابتسم وهو يقول له بصوت خافت : اطمئن . . هناك من يتبعهما بالخارج من رجالنا .



فى الفندق



الفونسو

رحّب العميد «مانويل» وزميله العقيد «مارتينز» — من شرطة «غرناطة» — بالمغامرين الثلاثة ، عندما هبطوا من غرفهم إلى ردهة الفندق فى الصباح التالى ،

وعرفوا منهما أن «الفونسو» اتجه إلى فندق «جرانادا» بعد أن ودّع «خوسيه» ، الذى أوى إلى بيت أخته «لولا» القائم على جانب الطريق الصاعد إلى دير «ساَكرومُونتى» .

وقدم أحد رجال الفندق يدعو العقيد «مارتينز» إلى التليفون عندما أقبل «سفاليس» وولده «تريفو» .

والعقيد «ممدوح» وصديقه «سبيرو» .

وصاح «عامر» متعجلاً الذهاب إلى قاعة الطعام لتناول الإفطار ، ولكن العقيد «ممدوح» طلب منه الصبر حتى عودة العقيد «مارتينز» الذى أقبل عليهم – بعد قليل – وهو يقول بحماس : «الفُونسو» و «خوسيه» فى طريقهما الآن إلى القصر العربى .

والتفت الدكتور «أشرف» إلى المغامرين الثلاثة ، وكان قد أقبل عليهم مع «أروى» و «إبراهيم» وقال : إنهم يطلقون على قصر الحمراء اسم القصر العربى .

ونظر العميد «مانويل» إلى العقيد «مارتينز» وقد رفع حاجبيه فى تساؤل . فأوضح العقيد «مارتينز» قائلاً : «خوسيه» – كما عرفت الآن – اجتمع منذ قليل بـ «ألفونسو» فى شرفة فندق «جرانادا» . . ثم ركبا سيارة سياحية مع بعض نزلاء الفندق . . إلى القصر العربى .

وغادر العميد «مانويل» مقعده فى الردهة وهو يقول لمن حوله : هيّا بنا ! .

واتجه الجميع إلى خارج الفندق . . برغم معارضة «عامر» الذى كان يصيح قائلاً : الإفطار . . !؟ . . هل نخرج بدون إفطار ؟؟ ! !



الطريق إلى الحمراء — القائمة فوق الهضبة بأسوارها المنيعة ، وأبراجها العالية — يخترق غابة من الأشجار الوارفة الظلال . . كانت صحراء أيام العرب وكانوا يسمونها « السَبيكَة » . . يستعرضون فيها جيوشهم ، ويحتفلون بانتصاراتهم .

عالية

والطريق يؤدى إلى باب الشريعة . ويقال إن القضاة اعتادوا الجلوس عنده للفصل فى قضايا المسلمين بكتاب الله وسُنّة رسوله .

والتفت العميد « مانويل » إلى المغامرين الثلاثة وهو

يقول : كان أجدادكم العرب أهل شهامة وتسامح . .

وقاطعه زميله العقيد « مارتينز » قائلاً : هذا صحيح ، ومما يروى عنهم أن ملك الأسبان مات وسط جيشه ، وكانت قوات العرب تحيط بهم ، واضطر جنوده إلى اختراق صفوف العرب للعودة بجثمان مليكهم إلى « إشبيلية » . ولم يستغل العرب الفرصة للانقضاض على أعدائهم ، بل أفسحوا صفوفهم للموكب الحزين دون التعرض له .

وبدد الدكتور « أشرف » الصمت الذى ران عليهم بقوله : الحمراء كانت حِصنًا صغيرًا عندما فتح العرب غرناطة .

وأشار « مارتينز » إلى « خوسيه » وهو يسير بعيدًا عن « الفونسو » وسط مجموعة من السياح كانت تقترب من باب الشريعة . . وكان الدليل الذى يتقدمهم يشير إلى نقش كف ومفتاح يتوج المدخل . . وسمعوه وهو

يقول : الكف رمز القوة ، والمفتاح شعار الأندلس .

وأشار «عارف» إلى لوح من الرخام بجوار النقش ، وقد سجل عليه الأسبان تاريخ انتصارهم على العرب فى ٢ يناير ١٤٩٢ م .

وشاهدوا أمامهم فى مواجهة المدخل القصر الذى أقامه الملك «شرلكان» بعد أن هدم جزءًا كبيرًا من مبانى الحمراء ، فى حين شغل «المتحف» القاعات القائمة عن يمينهم وشمالهم .

وتبع المغامرون الثلاثة ورفاقهم مجموعة السياح التى تضم «خوسيه» و «الفونسو» إلى «ساحة البِرْكة» المزدانة بالزخارف العربية ، والتى تزيد من جمالها أبيات الشعر المنقوشة على الجدران المحيطة بالساحة .

وقادهم الدليل إلى برج «قمارش» الكبير ، الذى كان يبدو لهم من وراء قاعة البركة ، حيث شاهدوا قاعة العرش ذات الزخارف والنقوش التى تشهد للفنان

العربى بالمقدرة الفائقة ، واستمعوا إلى الدليل وهو يقول بالإنجليزية : فى هذه القاعة قدَّم «أبى عبد الله» آخر سلاطين بنى نصر مفاتيح قلعة الحمراء إلى قائد جيوش الملكين الأسبانيين : «فِرنَاندُو» و «إيزابيلـلا» ، وعاد القائد الأسبانى إلى «سَانتَافِه» . . حيث رابطت قوات الملكين فى أثناء حصارها لغرناطة . . وتقدَّم الملكان الجيشَ . . وأُنزل آخر علم عربى من فوق برج الحراسة ، أكبر وأعلى أبراج الحمراء .

وارتفع صوت الدليل . . وهو يقول بلهجة خطابية مؤثرة : وفى هذه القاعة . . وقفت السلطانة «عائشة» . . تقول لولدها – آخر الحكام العرب فى البلاد – وهى تشير إلى غرناطة . . وقد بدت فوق بساط من خضرة مروجها الزاهية على امتداد البصر ، تحت الحمراء ، قالت له : «تذكر أنْ هذا المُلْك الذى تسلمه اليوم إلى أعدائك قد شيَّدَه أسلافك

بدمائهم ، وعرق جبينهم ، قد انتهى اليوم على
يديك » .

وهتف الدكتور « أشرف » قائلاً : هذا الدليل يحمل
فى عروقه قطرات من دماء عربية ! !

وتقدمهم الدليل – عبر ممرات وقاعات – إلى
ساحة الأُسود بأعمدتها الرشيقة ، تتوسطها نافورة
رخامية ، نقشت عليها – كما أخبرهم العقيد
« مارتينز » الأسبانى – أبيات شعرية فى مدح السلطان
« الغنى بالله » .

وهتف « إبراهيم » قائلاً : النافورة محمولة على اثنى
عشر عمودًا قصيرًا ، تستند على ظهور اثنى عشر أسدًا
منحوتة من الحجر .

واتجه الجميع إلى قاعة الملوك ، فأثارت إعجابهم
الصورة الملونة المرسومة فى سقفها . . قال « عامر » :
إنى أرى عبارة : « ولا غالب إلا الله » منقوشة على

الجدران فى كل مكان .

ويقول الدكتور « أشرف » : كانت شعارَ سلاطين
« بنو الأحمر » . . الذين اتخذوا الحمراء مقرًّا لهم .

وتقول « عالية » : الآيات القرآنية تزين
الجدران . . أمامى منها : (الحمد لله) . . و (الله خير
حافظًا وهو أرحم الراحمين) .

ويشير « عارف » إلى كتابة منقوشة على الجدار وهو
يقول : وهنا حكمة تقول : « السعد والتوفيق نِعْم
الرفيق » .

وجلست « عالية » فى نافذة قاعة « المشربية » التى
تطل على حديقة القصر الغنّاء لتلتقط « أروى » صورة
لها . . وقد بدت خلفها ستارة النافذة المصنوعة من
حبات دقيقة من الخشب « المَخْروط » .

وعند حَمَّام القصر . . يلمح المغامرون الثلاثة
« الفونسو » وقد انتحى جانبًا برجل ضخم لم يكن

ضمن جماعة السيّاح . . وبعد حديث قصير بينهما انفصل عنه ، واتجه «الفونسو» إلى «خوسيه» فسار بجانبه حتى انتقلوا إلى الحديقة الوارفة ، التى تحيط نخيلها وأشجارها المزهرة بالبركة الصافية التى تتصدر واجهة قصر «البَرْطَل» .

وتوقف الدليل وسط الجنة الحالمة ، وبدأ يترنم بالفرنسية بما أنشد شاعر فرنسا الكبير «فيكتور هيجو» . . وسارعت «أروى» بالترجمة ، فقالت وهى تتابع الدليل : «أيتها الحمراء . . أيتها الحمراء !.. أيها القصر الذى زينته الملائكة . . كما شاء الخيال . . أيتها القلعة ذات الشُّرفِ المزخرفة بنقوش كالأزهار والأغصان . . . » .

ويتنبه المغامرون الثلاثة إلى «خوسيه» الذى ترك الجماعة . . وسار وحده بخطوات مسرعة فى الطريق المؤدى إلى برج الأميرات . .

وأسرع «عامر» و«تريفو» و«إبراهيم» خلفه . . وتبعهم «عارف» و«أروى» و«عالية» . . برغم شوقهم لمتابعة قصيدة «فيكتور هيجو» .

وعند برج الأميرات شاهدوا «خوسيه» يتحدث مع امرأة ، تبينوا أنها شقيقته «لُولا» عندما اقتربوا من مكانهما . . ورأوها بعد قليل تتركه وتسير وحدها . ويتبعها «خوسيه» فى خطوات متمهلة ، ثم يعبر خلفها باباً صغيراً يؤدى إلى ممر تظلله أشجار السَرو الكثيفة . .

قال «إبراهيم» : إنه الطريق إلى حدائق وقصر «جنة العريف» التى يسمونها «جِنِرَاليفْ» . . وكان سلاطين غرناطة يقصدونها للتمتع بجمال موقعها ، وللاستجمام .

وأبصر المغامرون الثلاثة ورفاقهم «لولا» وهى تقترب من صبى صغير يرتدى قميصاً أحمر وبنطلوناً أسود ، ويحمل صندوقاً أسود من النوع الخاص بآلة

الجيتار .

وسارت «لولا» مع الشاب الصغير إلى حدائق «جنة العريف» فوق ممرات مفروشة بالرمال الصفراء الناعمة ، تشق البُسُط الخضراء التى تناثرت فوقها الأزهار بألوانها المتباينة ، بين صفوف متناسقة من أشجار الحُور الشامخة ذات الخضرة الداكنة .

ولحق «خوسيه» بـ «لولا» ورفيقها الذى ناوله صندوق الجيتار ، فعلّقه «خوسيه» على ظهره ثم فارقهما . . وهو يلوح بيده مودعًا . .

ويتجه «خوسيه» إلى واحدة من الدكك الخشبية المتراصة عند سور الحديقة الحجرى القصير ، فيجلس واضعًا الصندوق فوق ساقيه ويجيل البصر أمامه . . وقد غطت الحمراء الأفق بأسوارها وأبراجها . . وظهرت خلفها جبال «سييرا نِيفَادا» المكللة بالثلوج .

ويقفز «عامر» عاليًا فيلتقط برتقالة من إحدى

الأشجار المحملة بالثمار ، وينزع قشرتها بأسنانه وهو ينظر معتذرًا إلى رفاقه ، ويقول مبررًا فعلته : لم أفطر كما تعرفون !

ولكن ما يلبث أن يلقى بالبرتقالة إلى المنحدر العميق الذى يفصل بين «جنة العريف» و «الحمراء» . . وهو يصيح : مرّة . . ! . . وحامضة ! ! . . وأظنها ثمرة نارنج . .

ويضحك «إبراهيم» ويقول : البرتقال يسمونه «نارنج» ، وهذه الثمار للزينة ، وليست طعامًا للخطّافين .

ويقترب «الفُونسو» ورفيقه من «خوسيه» الجالس على الدكّة الخشبية . ويمد «الفونسو» يده إلى صندوق الجيتار . . ولكن «خوسيه» ينحنى ويطوق الصندوق بذراعيه .

ويشاهد المغامرون الثلاثة ورفاقهم «الفونسو»

ورفيقه وهما يضحكان ، ثم وهما يميلان فوق « خوسيه » الذى يشاهدونه بعد قليل وهو يغادر الدكّة الخشبية ويسير بين « الفونسو » ورفيقه ، وقد أمسك كلٌّ منهما بإحدى ذراعيه .

وقال « **عامر** » : أرى « خوسيه » يحاول الإفلات من قبضة كل من « الفونسو » وزميله .

وكانت « أروى » و « عالية » تسيران خلف « عامر » ورفاقه وتتأملان فى إعجاب الساحة الطويلة التى يتوسطها صفان متقابلان من نافورات رشيقة تمتد حتى واجهة القصر العربى الصغير ، ويرتفع ماؤها عالياً فيعانق ماء النافورات المقابلة قبل أن يسقط فى قناة عريضة . . تحف بها شجيرات الورد والرياحين .

وشاهد الجميع « الفونسو » وهو يخلع صندوق الجيتار عن كتف « خوسيه » ، واتجهوا ناحية رجل أنيق طويل القامة ، يرتدى « بدلة » داكنة اللون ، ويقف

قرب القصر الصغير ، وهو يهز رأسه مبتسماً .

ويقترب « إبراهيم » من « خوسيه » ورفيقيه ، ثم يعود مسرعاً ليقول إن « الفونسو » يطلب من « خوسيه » الإسراع فى خطوه ، لأن البارون يقف فى انتظاره .

ويلتفت « عامر » ناحية الرجل الطويل الأنيق الواقف عند « قصر العريف » ، ويهمس فى دهشة :

البارون . . !

ويسرع « عامر » فى خطوه . . ولكن « إبراهيم » يتعلّق بذراعه ويطالبه بالاحتراس من « الفونسو » الذى يخفى خنجراً تحت سترته . . ويهدد « خوسيه » بالقتل . . إذا حاول الصياح أو الهرب .

ويضحك « **عامر** » وهو يقول : هل تذكر لعبة القطار يا « إبراهيم » ؟

ويبتسم « **إبراهيم** » وهو يقول : طبعاً . . ولكن . .

ويقاطعه « **عامر** » وهو يتوثب فى مكانه ويقول :

هيّا .. هيّا .. القطار يتحرك ..

ويضحك «إبراهيم» وهو يصيح مُقلِّداً صوت القطار : توت .. توت !! تْشُو .. تْشُو !!

وكان «عارف» قد لحق بهم ، فجرى الأربعة : «عامر» و «إبراهيم» و «تريفو» و «عارف» فى صف واحد .. كعربات القطار .. وقد أمسك كلٌّ منهم بزميله من وسطه وهم يصيحون : توت .. توت ..!!.. تشُو .. تشُو !!

وتطلع «الفونسو» ناحية «عامر» القادم نحوهم يتبعه رفاقه ، وما يلبث أن يصيح – وقد تذكر رؤيته له فى الليلة الماضية فى الكهف – فيقول : إل إخيبِيشْيُو !.. إل إخيبِيشْيُو !!

ويهتف «إبراهيم» قائلاً .. وهو يعدو خلف «عامر» : يقول المصرى .. المصرى ..

ويلمع الخنجر فى يد «الفونسو» وهو يتقدم لمواجهة

«عامر» الذى يقفز فى الهواء ، فيتعلق بأحد فروع شجرة ثم يطوح بقدميه فى الهواء فيصيب «الفونسو» الطويل القامة فى صدره .. فيتراجع إلى الخلف وهو يترنح ، وقد سقط الخنجر من يده ..

ويتقدم «إبراهيم» فيصوب لكمة قوية إلى «الفُونسو» تفقده اتزانه ، وتعجل بالنهاية ركلة من قدم «تريفو» تدفعه ناحية النافورات فتنزلق قدمه ، وسرعان ما يسقط فى القناة الماء العريضة .. تحت رشاش النافورات المتساقط .

ويحاول زميل «الفونسو» الهرب بصندوق الجيتار .. ولكن «تريفو» و «عارف» يلحقان به ولا ينقذه من لكماتهما سوى رجال الشرطة الذين أطبقوا عليه .

وكان «عامر» و «إبراهيم» قد أسرعا إلى «البارون» .. الذى اتجه إلى سلم القصر الخشبى .. ثم

عدل عن فكرة صعود درجات السلم . . وواجه «عامر» و «إبراهيم» . . وهو يصيح بالأسبانية . . فى حِدَّة : «كِهْ كِيِيرِنْ» ؟

وترجم «إبراهيم» قائلاً : يسأل . . ماذا تريدون ؟

وتجمَّد «البارون» مكانه عندما سمع العميد «مانويل» الواقف خلفه يجيب عن سؤاله بقوله : نريد القبض عليك .

وتطلع الجميع إلى «عالية» . وكانت قد تمكنت من فتح صندوق الجيتار الذى ركعت بجانبه على العشب الأخضر . ومدت «عالية» يدها داخل الصندوق وأخرجت لِفافة مطوية من القماش .

وأسرع «سفَاليس» فاختطف اللِّفافة من يدها . . وصاح فى فرح . . وهو يفردها بين يديه : اللوحة الأصلية . . ! . . لوحة «بيكاسو» ! ! !



عارف



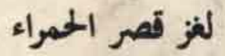
عالية



عامر

٢٣٣٠٦٣/٠٢





لم يكن الوصول إلى لوحة « بيكاسو » المسروقة سهلاً ، كما توقع صاحبها اليونانى .

كانت المغامرات المثيرة فى انتظار المغامرين الثلاثة : « عارف » و « عامر » و « عالية » بعد وصولهم إلى « برشلونة » فى أسبانيا . وقادتهم أحداثها الغريبة بفضل ذكاء « عالية » وقوة ملاحظتها ، إلى أحد كهوف الغجر فى « غرناطة » .

ترى ماذا حدث ؟ هل يصل المغامرون إلى « البارون » والحصول على لوحة « بيكاسو » ؟ .

هذا ما ستعرفه فى هذا اللغز المثير .

